بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإن قضية الحكم وصفات الحاكم مما تناوله القرآن وفصل فيه تفصيلاً؛ بما أورده من قصص وساقه من أخبار، وما زال القرآن الكريم مورداً عذباً فراتاً لكل من رام الهداية فسلك سبيلها، فليس القرآن الكريم معنياً بأصول العبادات أو المعاملات وحدها، بل هو معني كذلك بقضية الحكم والسياسة، ولا غرابة فإنه كلمة الله الأخيرة لنا . معشر بني الإنسان . وقد تكفل الله لمن اتبعه بأن يهتدي في الدنيا ويسعد في الآخرة، وتوعد من أعرض بشقاوة الدارين **(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى)**[1]

وهذه الورقات التي أعرضها على مسامعكم وأضعها بين أيديكم تعرض لهذه القضية، لكنني محتاج قبل وقبل أن أخوض في تفاصيلها أن أورد حقائق وأصدِّر الكلام بتنبيهات:

أولاً: أن قضية الحكم والسياسة قد تعلّق بها كثير من الأوهام في عُرف مسلمي هذا الزمان، لا أعني عوامَّهم بل العلماء والصفوة، حتى عدَّها بعض الناس من شئون الدنيا لا من شئون الدين، وصار الورع كل الورع في النأي عنها، وصارت الحكمة التي ترددها الألسن: لعن الله ساس يسوس وما اشتق منها.

ثانياً: أن بعض من يحكمون المسلمين ممن لا يرجون لله وقارا عملوا على ترسيخ جملة من المفاهيم الخاطئة في عقول المسلمين فيما يتعلق بالسياسة والحكم، حتى ردّد بعضهم على الملأ مقولات كفرية مثل: "لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين"، ومثل: "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

ثالثاً: أن قضية الحكم ونزاهة الحاكم وتجرده هي من أولى القضايا التي حصل فيه بُعْدٌ عن دين الله وهَدْي رسول الله ﷺ مصداقاً لقوله ﷺ {لتُنقضنَّ عُرى الإسلام عروة عروة، فأولها نقضاً الحكم، وآخرها الصلاة} [2]

رابعاً: أن كثيراً من حكام المسلمين المعاصرين يدّعي أن دولته إسلامية، وأن حكمه إسلاميّ، دينه الإسلام وهديه القرآن، وأنه يطبِّق شريعة ربِّ العزة والجلال، ويرمي مخالفيه ومنتقديه بالخروج عن الدين واتِّباع غير سبيل المؤمنين.

خامساً: أن الأنبياء عليهم السلام هم أجدر من يقتدى بهم في ممارسة الحكم لأنهم مارسوه، ففي القرآن الكريم **(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله)**[3] وفي السنة المطهرة قوله ﷺ {كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون} قالوا: فما تأمرنا؟ قال {فوا ببيعة الأول

---

[1] سورة طه/

2 رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة (251/5).

[3] سورة المائدة/

فالأول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم}[4] قال الحافظ رحمه الله تعالى: تسوسهم الأنبياء، أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبياً لهم يقيم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.ا.هـ[5] في فصل النزاعات وفض الخصومات داود وسليمان **(وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث)** وفي حسن التدبير وإدارة الأزمات يوسف **(قال تزرعون سبع سنين دأبا)** وفي النجاة بالناس من الكوارث والآفات موسى **(وإني لأظنك يا فرعون مثبورا)** **(أن أسر بعبادي إنكم متبعون)** وفي التمتع بالمواهب الفطرية **(إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه)** وفي حسن معرفة كفاءة الرجال طالوت **(وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة)** وفي منع الشر عن الرعية وحبس المجرمين وأهل السوابق ذو القرنين **(فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)**

[4] متفق عليه من حديث أبي هريرة τ
[5] فتح الباري